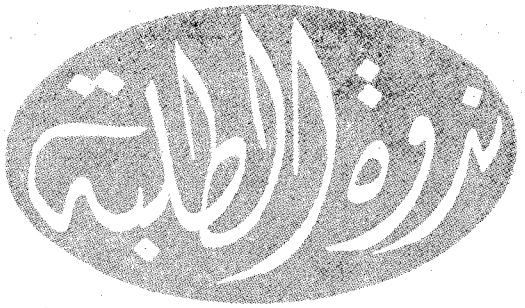

من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام

بقلم الطالب

محمد ضياء الرحمن الاعظمى

حينما كنت طالبا فى كلية شبلى بمدينة اعظم كده منذ تسع سنوات تقريبا وقعت يدى على بعض الكتب التى تتعلق بقواعد الاسلام فاقبلت على دراستهـا بكل رغبة واجتهاد ،وأول كتاب قرأته هو «الدين الحق» المترجم باللغة الهندية لفضيلة الشيخ ابى الاعلى المودودى حفظه الله ٠وبدأ هذا الكتاب بقول الله عزوجل « ان الدين عند الله الاسلام» وكنت جاهلا بمعانى القرآن الكريم ومع ذلك فقد أثرت ترجمة الآية في نفسى تأثيرا شـديدا لأنى كنت أعتقد دين آبائى اعتقادا جازما انه الحـق والعداوة للاسلام كانت راسخـة فى قلوبنا نتيجة الاتهامـات الكاذبة الشائعة لملوك المسلميـن من قبل المؤرخين الهندكيين الذين كنا ندرس كتبهم فى المدارس الحكومية ، ويزعم هؤلاء المؤرخون ان المسلميـن قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان ٠

Made With Pdf Office

وهذا يتركز فى اذهان الطلاب الهندكيين لاجل ذلك يجد الطالب نفسه مضطرا لمعاداة المسلمين وبغضهم .. وازدادت تلك العداوة حتى عمت البلوى ، وكنت ممن يكن البغضاء للمسلمين ، فجعلت أبحث فى الكتب الاسلامية عن الاسلام ليلا ونهارا لعلى استطيع بذلك الطعن فيه، ولكن الامر قد انعكس حينما أثرت هذه الكتب فى نفسى تأثيرا الجأنى الى هجر الكتب الدراسية التى كنت أدرسها فى ذلك الوقت .

ومن المعلوم ان الدين الهندكى كان منذ الاف السنين هو المصدر الوحيد للحضارة الهندية وأساس قوانينها ، لذلك كنت فى قلق واضطراب من «ويدك وهرم» وقد قضيت بضع سنين فى هذه العصبة الجاهلية .

والمؤرخون الهندكيين يكنون للمسلمين عداوة شديدة فى صدورهم ويكشفون عنها الحجب فى كتبهم التاريخية . أحيانا يطعنون فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرة بقولهم انه كان راغبا فى حياة الدنيا ولذاتها وهذا الجهل المركب تركز فى عقول شباب الهندكيين .

ومهما يكن فان عداوة الاسلام كانت من تراث آبائنا ، فاذا نظرت الى احوال المسلمين لم أجد فيها مايرغبنى ، فانهم متخلفون من الوجهة الاقتصادية والوجهة الخلقية ، لذلك كان معظم الناس يقولون ان الانسان اليوم فى اشد حاجة الى الهدى والرشاد ممن يهديه اليهما بعد ان ضل ضلالا بعيدا .

وبالجملة فان جميع الاسباب لمعاداة المسلمين والاسلام كانت متوفرة لدى الطالب الهندكى ، ولايستطيع الطالب بمعلوماته القليلة الضيقة أن يبحث مباحث توصله الى دين الحق، ويكشف عنه ظلمات اللبس وسحب الجهل ، اذ ليس من المعقول ان تعتبر هذه المعلومات الضئيلة كافية لحل مسائل الحياة الانسانية ، فوجهت نفسى مضطرا للرجوع الى «ويدك وهرم» ليطمئن قلبى بما أختار واسير على الطريق القويم ، لكن ماوجدت فيه الا أساطير الاولين من عبادة النار والبحر والاشجار والاحجار وغيرها من الجمادات والبهائم التى لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا فكيف بغيرها .

وأحيانا يعلل خلق الكون بصورة شنيعة قبيحة فيها رائحة منتنة يفر منها الانسان اللبيب وهانذا أسوق اليك ايها القارىء الكريم بعضها :

Made With Pdf Office

يقول الدكتور تاراجند الفيلسوف الهندكى فى كتابه :

(فكرة ويد) : ان الاضحية (أى ذبح الحيوان) آية لصلاح العـــالم وهى وسيلة القوة للخالق لانه اذا تعب من الخلق وذهبـــت قوته فالملائكة يستردون هذه القوة بالاضحية فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتى بها الطوفان لان هـــذه هى السبب الوحيد الـذى تتم به ارادة الخالق (ص ٣٠)

(وشو) : هو الاله الثـالث فى اعتقادهم وهو خـــالق السماوات والارض ومابينهما وهو على كل شىء حفيظ ، له أعين فى جميع الجهات كلها وله وجه فى جميع الجهات له أيد وأرجل كثيـــرة وهو وحـده لاشريك له .

(رتى ويد ١٠-٨١-٢-٤)

وهو ذات واحدة يسمى برم برش- افضل الناس - له آلاف الرؤوس والاف الاعين والاف الارجـــل وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه وكل ماكان ويكون فهو صادر منه وهو مالك الحياة الابدية ولايعاقب على اى عمل يعمله لان اعماله كلها خير .

(فكرة ويدانت) : يقول المفكر الهندوكى وويكانند فى كتابه HINDUISM

خرج هذا العالم من العدم الى الوجود بارادة الخالق ، المادة والروح والخالق كل منهما أزلى وقديم لايجرى عليها زمان ولايأتى عليها حدوث تدوم الحياة كما يدوم الخالق وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن . أما الخالق فهو موجود فى كل زمان ومكان عالم بكل شىء ليس له صورة حسية ولن يستطيع احد ان يصل الى رفعته اذا ادعى أحد لنفسه انه الله فقد كفر به .

(ص ٦٤-٦١)

(فكرة منو السمرتى) : ان هذا الكتاب هو المأخـــذ الاساسى لقانون الهندك ودونك البـــاب الاول الذى يبحث فيه عن الخلق :

ان هذه الدنيـــا كانت غامضة لاتوجد لها علامة ولا وسيلة يتوسل اليها ثم ظهر - برميشـــور - (اله الالهة) بمادة التكوين وأراد ان يخلق

Made With Pdf Office

خلقا من ذاته فخلق الماء وألقى فيه النطفة وأصبحت هذه النطفة بيضة فاذا ـ ببرهما ـ الخالق يخرج منها وكسر البيضة نصفين فخلق من احدهما الجنة ومن الثانى الارض والسماء وما بينهما والجهات الثمانى والبحور الهادئة ، ثم اخرج من فمه (براهمن) ومن عضده «جهرى» ومن فخذه «ويسن» ومن رجله «شودر» فما دام برهما مستيقظا فالدنيا باقية واذا أخذه النوم تقوم القيامة ـ من الباب الاول الى الخامس ثم العاشر ـ

(فكرة براهمان) يعد براهمان عند الهندكيين من الكتب المقدسة اسفاره أكثر من أن تحصى ولكن كله ينسب الى ويدوياسى فاختلف اصحاب براهمان فى خلق العالم وجاءوا بالقصص الماجنة البذيئة ودونك بعضها :

يقول صحاب براهمان «ديوى بهكوت» الخالق لهذا العالم هو امرأة من شرى بور اسمها ـ شرى ـ وهى التى خلقت الالهة الثلاثة المعروفين لديهم «برهما» (خالق الحياة) و«شنو» (الرازق) و«مهيس» ـ قابض الارواح ·

لما ارادت هذه المرأة ان تخلق العالم وضعت احدى يديها على الاخرى فاذا ببرهما خرج منها وأمرته ان يتزوجها فأبى لانه أعتقد انه ولدها فغضبت المرأة غضبا شديدا فأحرقته ثم أعادت عملها فخرج منها «وشنو» فأمرته أن يتزوج بها فأبى فأحرقته أيضا ثم أعادت العمل فخرج « مهيش » فأمرته أن يتزوجها فامتنع الا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتى بصورة غيرها ففعلت ما طلب منها ثم طلب « مهيش » أن تحيى أخويه الذين أحرقتهما فأحيتهما ، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين يتزوج كل واحد منهم بواحدة ففعلت وتزوج كل واحد منهم بواحدة فهؤلاء الالهة الثلاثة هم الذين خلقوا العالم ويديرونه (ستيسارتق بركاش الباب ١١) ·

وفى هذه الكتب المقدسة عندهم أفعال ينسبونها الى الخالق لا يرضى أحد من الناس أن تنسب اليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا · فكأن مثلى بعد دراسة « ويدك وهرم » كمثل رجل فر من المطر خوفا من البلل ووقف تحت الميزاب أو كما قال الشاعر العربى :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ذلك انشرح صدرى للخروج من دين آبائى وطرح العقيدة الجاهلية والدخول فى الاسلام وسجدت شكرا لله القائل « ان الدين عند الله الاسلام » ·

Made With Pdf Office

« الامور التى جملتنى على الدخول فى الاسلام » :

١ ــ ان الاسلام ليس دينا موروثا عن الاباء بل هو لكل من يفتح لـــه صدره ٠

٢ ــ ليس فى الاســـلام فوارق جنسية ولا عصبيات جاهلية فقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ٠ (الحجرات) ٠

٣ ــ ان الاخوة الاســـلامية فى الاسلام مقدمة على جميع علاقـــات النسب والوطن كما بين الله تعـالى فى قوله « قل ان كان آباؤكم وابناءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصـوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين (سورة التوبة) ٠

٤ ــ ان الحديث العهد بالاســلام يصبح كواحد من عشيرة المســـلم المولود فى الاسلام قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » وان العالم الاسلامى يعتبر له وطنا حقيقيا مصداقا لقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فأياى فاعبدون » (المؤمنون)٠

٥ ــ ان الاسلام قانون لجميـــع شئون الحياة الانسانية وهو يقدم أحسن حل فى المشاكل الفرديـــة والاجتماعية وقد أخطأ الذين يحصرون الاسلام فى المساجد والخانقاهـــات والاربطة ٠

هذه هى الامور المهمة الثابتة التى أدركت حقيقتها قبل تسع سنوات فى الايام الجاهلية وكنت على دين آبائى فاهتديت بحمد الله لتـركه واتجهت الى الاسلام بكل وجودى وهو حـــق لا يرتاب فيه عاقل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ٠

ولما دخلت فى الاسلام اصابنى مصائب شتى « سنة الله التى قد خلت فى عباده » وصدق الله «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»

المرحلة الاولى : ان والدى حرمنى من التعليم العالى وأخرجنى من «مدينة أعظم كره » وبعثنى الى « كلكتا »حيث صرت غريبا لا أجد فيها أحدا مـن المسلمين أعرفه ويعرفنى ولكن الله يسر لى فى غربتى من أرشدنى وأعارنى ما كنت فى حاجة اليه من الكتب ،ولولا ذلك لكان اسلامى فى خطـــر

Made With Pdf Office

عظيم ، والحقيقة ان هذه المرحلة كانت على أشد مما يتصور وبعد الوصول الى كلكتا مباشرة بحثت عن مركز الجماعة الاسلامية فوجدته وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة وبدأت اطالعها لاستعد للمراحل الاتية • وقد اطمأنت نفسى بمصاحبة الشيخ عبد التواب حفظه الله فى هذه المرحلة فأحمد الله الذى يسر لى الامور الى هذا الحد وايضا أشكر المخلصين الذين ساعدونى كل المساعدة فى اللحظات الخطيرة والله لا يضيع أجر المحسنين •

المرحلة الثانية : هذه المرحلة كانت مرحلة البحث والمناظرة مع النساك الهندكيين مع صغر سنى وقلة علمى وبعدى عن المسلمين وكلما فكرت فى البحث والمناظرة التى جرت بينى وبين النساك الهندكيين تعجبت كيف انتصرت عليهم وقد كانت القوى الكافرة متألبة على اسلامى على اختلاف مسالكها ومذاهبها •

لا أذكر من أسئلتهم الا سؤالا واحدا وهو قولهم «لم تختارون الاسلام مع أن المسلمين فى شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الاخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة ؟ فأجبتهم قائلا : ما اخترت الاسلام الا بعد مطالعة قواعد الاسلام لا بدراسة أحوال المسلمين اليوم وان كنتم فى ريب منه فاعرضوا على ما أشكل عليكم من أصل الاسلام وعقيدته • ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبهتوا وسكتوا، وانقلبوا خائبين يلومون أنفسهم كما هى عادة المعاندين عند المحاولة فصدق عليهم قول الله عز وجل فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين • فما كنت أرجع الى بيتى الا وقلبى مطمئن بالايمان واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يوما متوالية •

المرحلة الثالثة : ثم جاءت مرحلة الاذى والتعذيب التى كنت انتظرها بفارغ الصبر فمن أذاهم أنهم حبسوا الماء والطعام عنى وانقضوا على ضربا بالعصا والنعال فاستمروا بجهودهم شهرين متتابعين وبعد ما يئسوا من رجوعى الى دينهم تآمروا على قتلى ولولا أن الله سبحانه أنجانى منهم بلطفه الخفى لقتلونى شر قتلة ، فيسر الله لى طريق الهجرة وهاجرت الى مكان هادىء تاركا والدى والرفقاء والاصدقاء وكثيرا من العشيرة الاقربين لأحافظ على دينى وايمانى كل المحافظة بفرح وسرور ، كما هاجر أبونا ابراهيم عليه السلام قائلا : انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم •

المرحلة الرابعة : فلما خرجت من وطنى مهاجرا الى ربى ووصلت على بعد ٤٠٠ كيلو متر غربا الى بلدة بدايون أردت أن أقرأ القرآن وأتعلم

Made With Pdf Office

اللغة الاردية فعينت مدرسا للغة الهندية والانجليزية والتاريخ والرياضيات فى مدرسة اسلامية صغيرة ، وفى أوقات الفراغ كنت أتعلم القرآن • ولكن الهندكيين علموا بذلك بعد سنتين ولم يرضوا بهذا فجاءت المؤامرات الاخرى • ووجدت نفسى مضطرا الى الخروج من هذه الناحية الى ناحية أخرى بعيدة عنها وهى مدراس فى جنوب الهند وتبعد عنها بدالون ألفى ميل •

ولما وصلت الى مدراس التحقت بمدرسة دينية معروفة تسمى «بجامعة دار السلام » وهى محاطة بالجبال والاشجار ذات بهجة ومنظر ممتع يسر الناظرين ، ثم أصبحت طالبا رسميا فى تلك المدرسة وهذه المدرسة تهتم بالتعليم والتربية متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فبذلك حفظنى الله من التعصب للمذاهب واتباع الاهواء والفرق المبتدعة والطرائق الخرافية •

فطفقت أتعلم اللغة العربية وآدابها وعلومها والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، وتعلمت شيئا من المنطق والفلسفة • واستمرت دراستى ست سنين ، ثم بعد التخرج فى المدرسة قدمت طلبا للالتحاق بالجامعة الاسلامية الى صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة كى أنهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية ففبل الشيخ طلبى فسافرت من بلاد الهند الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سائلا الله تعالى أن يجعلنى من الحنفاء المخلصين له الدين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

الحرية

حين تكون الحاكمية العليا فى مجتمع لله وحده متمثلة فى سيادة الشريعة الالهية تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر •

ولا حرية فى الحقيقة ولا كرامة للانسان فى مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد •

المعالم/ سيد قطب

Made With Pdf Office